

النظام المالي عند الحفصيين *

د. صالح فياض أبوريالك
جامعة اليرموك

يعد ديوان الخراج من أهم دواوين الدولة ، واعتبره ابن خلدون الركن الثالث من أركان الملك . ولهذا اهتم به خلفاء الدولة الإسلامية عبر الفترات التاريخية للحكم الإسلامي (١) .

وأول من قام بتأسيس هذا الديوان من الخلفاء ، هو الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ، فقد أبقي سجلات دواوينه باللغات التي كانت عليها ، وهي اللغة الفارسية في العراق ، واللغة الرومية في بلاد الشام ، واللغة القبطية واليونانية في مصر (٢) .

وقد ظلت سجلات الدواوين على ما كانت عليه قبل الفتح دون تغيير أو تبديل إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، حيث استقرت في عهده دعائم الدولة العربية ، ورسخت قواعدها ، وانتقل العرب إلى أنماط حياتية جديدة ، ومهروا في القراءة والكتابة بعد جهلهم بهما ، وظهر من بينهم ومن مواليتهم كتاب وأهل حساب ، فأمر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م ، سليمان بن سعد والي

* يعود أصل بني حفص إلى قبيلة هنتانة التي هي فرع من المصاعدة ، وكان أبو حفص عمر بن يحيى مؤسس دولتهم ، استقل بنو حفص بأفريقية - تونس - بعد استيلاء المرينيين على مراكش ودام حكمهم ثلاثة قرون ، وامتد نفوذهم حتى وصل برقة . راجع ، ابن خلدون تاريخ الدول بالمغرب الجزائر ١٨٥١ ج ١ ، ص ٢٧٤ .

الأردن في عهده ، بتعريب ديوان المال في بلاد الشام ، وقد تم تعريبه في خلال سنة واحدة وأصبح يتولاه من يتقن اللغة العربية بعد أن كان لا يتولاه إلا من يتقن اللغة الرومية ، وكان ممن تولاه قبل التعريب سرجون بن منصور الرومي النصراني (٢) .

أما ديوان العراق ، فقد أمر الخليفة عبد الملك واليه الحجاج بتعريبه ، وقام الحجاج بدوره بتكليف كاتبه صالح بن عبد الرحمن مولى ابن عبيد من بني مرة بتعريب الدواوين .

وكان صالح يتقن اللغة الفارسية التي تعلمها من زاذان بن فرّخ (٤) الذي قتل في حرب ابن الأشعث ، وتمكن صالح من تعريبه في مدة وجيزة . أما ديوان مصر ، فقد أمر عبد الله بن عبد الملك بن مروان والي مصر من قبل أبيه بنقله إلى اللغة العربية ، وعين له بعد تعريبه ابن يربوع الفراري من أهل حمص بدلا من عبد الله بن اثيناس .

وفي خراسان ، قام اسحاق بن طليق كاتب بني نهشل بنقله من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية زمن الخليفة هشام (٥) بن عبد الملك سنة ١٢٤ هـ / ٧٤١ م . ونتج عن حركة التعريب في الدواوين انتشار اللغة العربية ، وأصبحت اللغة السائدة في جميع أجهزة الدولة ، في مختلف الإقطار الإسلامية (٦) .

أما عن تقسيم الخراج ، فقد عزم الخليفة عمر على أن يضع خراجا على أرض السواد والاهواز وما افتتح من المدن في بلاد العراق وفارس . فأشار عليه المسلمون بتقسيمها دون فرض الخراج عليها ومن هؤلاء بلال الحبشي ، وعبد الرحمن بن عوف ، ولكن عمر رفض رأيهما وأيده في رفضه من الصحابة عثمان وطلحة . واستقر الرأي على فرض الخراج ، فبعث الخليفة عمر حذيفة بن اليمان ، وعثمان بن حنيف إلى أرض السواد في الأراضي المفتوحة وأرض الجزيرة الفراتية فوضعا على هذه الأراضي خراجا يتفق والشريعة الإسلامية (٧) . وقد اتبع نظام عمر في الخراج في الأراضي المفتوحة من جاء بعده من الخلفاء مع الأخذ بعين الاعتبار نوعية التربة ، وأنواع المحاصيل والأشجار المثمرة ، والأحوال الطبيعية للبلاد ، وعادات أهلها في الزراعة وجني المحصول ، وكيفية سقي الأراضي بماء المطر أو بالري . وكانت البلاد المغربية من البلاد الوافرة بالمياه (٨) ، الخصبة بالانتاج ، علاوة على اهتمام العرب المسلمين بالتعمير وأصلاح الأراضي . من هنا يقال أنهم اهتموا ببناء المسجد وزراعة الحقل .

ففي عهد الأغالبة ، على سبيل المثال ، شهدت إفريقية زيادة في مساحة الأرض المزروعة ، بفضل العناية بطرق الري والاكثار منها ، كما شهدت زراعة محاصيل جديدة

قدم بها الفاتحون من بلاد الشام والعراق ، وتقدمت الصناعة والتجارة في هذه البلاد وغيرها من البلدان المغربية .

واصبحت القيروان حاضرة البلاد الافريقية من المراكز التجارية المهمة على البحر المتوسط ، الى جانب بلدان اخرى ، مثل بجاية ، وسوسة ، ورقادة ، والعباسية وغيرها من المدن الافريقية (٩) . وحذت هذه المدن حذو المدن المشرقية ، فعرفت نظام الاسواق المتخصصة (١٠) مثل اسواق المدن بالمشرق ، كما تأثرت النظم المالية فيها بنظيراتها في الامصار الاسلامية وخاصة المشرقية منها .

فالدارس للعملة المغربية بافريقية الاغلبية يعرف مدى تأثيرها بالعملة العباسية ببغداد كما نلاحظ ان وظيفة متولي الضرائب التي وجدت بافريقية الاغلبية هي تقليد لما عرفته العراق ، ومجاورة افريقية للمشرق وموقعها بين القارات الثلاث - اوروبا وآسيا وافريقيا - سهلت سبل الاتصال البري والبحري بينها وبين المشرق من جهة وبينها وبين القارات الثلاث من جهة اخرى .

وارتبطت افريقية بمصر بطريقين كبيرين أحدهما بمحاذاة الساحل والاخر اتجه الى الجنوب حيث توغل في الداخل . اما الطريق الاول ، فيمر بالفسطاط ويتجه غربا دون ان يمر بالاسكندرية ، ويلتقي عند برقة بالطريق الآتي من الاسكندرية ، ثم يتحد الطريقان في طريق واحد معبد الى المدن الافريقية مارا بذات الحمام والطاحونة . اما الطريق البحري فقد ربط المدن الواقعة على البحر المتوسط ابتداء من الاسكندرية مروراً بالموانئ الافريقية مثل تونس ، وسوسة ، وبجاية وغيرها ، ولكن افريقية الاغلبية كانت تعتمد على الطرق البرية اكثر من الطرق البحرية لان البيزنطيين كانت لهم قوة بحرية يعتد بها في البحر المتوسط (١١) . الا ان هذه القوة انهارت ، ونشطت بعد انهيارها الطرق البحرية بين الساحل التونسي والمدن الساحلية المغربية الاخرى ، مثل نول - ولطة ، واصبحت هذه الطرق تمتد من المحيط الاطلسي غربا الى الاسكندرية على البحر المتوسط شرقا ، ونشطت طريق الصحراء بعد اكتشاف الذهب في المناطق الافريقية المحاذية لمدينة سجلماسة الواقعة الى الجنوب من مراكش ، فكانت القوافل التجارية تأتي من سجلماسة عبر وجدة ، ومنها الى تلمسان ومنها الى بلاد الزاب وقسطيلة محملة بالتبر مما ادى الى الراج التجاري في الاسواق المغربية بعامة ومن ضمنها الاسواق بافريقية (١٢) .

ونشطت دار السكة في مدينة العباسية الواقعة الى الجنوب من القيروان بسك العملة الذهبية فيها والتي على وجهي قطعها النقدية اسماء خلفاء بني العباس (١٣) .

وحرص الاغالبية كما حرص من سبقهم ومن عاصرهم ومن اتى بعدهم من حكام المغرب على تأمين الطرق التجارية قصد المحافظة على اقتصاد البلاد وازدياد الرخاء فيها(١٤).

ولما جاء الفاطميون للمغرب واستولوا على افريقية التي كانت من ضمن الاقطار المغربية التي استولوا عليها ، لجأوا الى عدد من الاساليب التي لم يعهدها المقاربة من قبل ، اذ امروا بأخذ الخمس من الفنائم عملاً بقول جعفر بن محمد : « الخمس لنا أهل النبوت ليس للناس معنا فيه شيء » (١٥) ، وهو ما يخالف آراء الفقهاء من أهل السنة الذين يرون بان سهم الرسول انتهى بموته ، وأنه يصرف في المصالح العامة . واستحدث الفاطميون دواوين جديدة لجبي الاموال مثل ديوان الكشف وديوان الضياع ، وقاموا بمصادرة اموال التجار خاصة الاندلسيين ، وكان من ابرزهم جعفر بن خيرون المعافري لانه لم يكن على وفاق معهم ، واطلقوا العنان لقادة الجيش في جباية الاموال سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م من هؤلاء التجار . ومن ابرز هؤلاء القادة مصاللة بن حبوس ، ويبدو انه اشتط في جمع الاموال ومصادرتها خاصة من التجار(١٦) .

وشجع الفاطميون جباتهم على الاكثار من المال الذي عد وسيلة لترقية الموظف وتعيينه في المناصب العليا امثال محمد بن عمران النفطي قاضي طرابلس الذي نال منزلة عند عبيد الله بسبب جمعه المال الكثير وتقديمه لخزينة الدولة(١٧) .

وابتكر الفاطميون وظائف للجباية جديدة ، مثل وظيفة التقسيط الذي ابتدعها القاضي ابو عمران بن احمد بن عبد الله بن ابي محرز عندما ولاه عبيد الله المهدي على خراج افريقية سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م ، فنظر في اكثر كمية من مال العشور واقفلها واخذ متوسطها وفرضه على كل ضيعة من ضياعها (١٨) .

وعرف هذا النوع من الجباية عندهم بالتقسيط ، وبعد سنتين من ابتكار هذه الوظيفة قاموا باصلاح في الجباية سموه « التضييع » وعدوه اصلاح الاصلاح وكان ذلك سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م . وفيه يقول ابن عذارى : - « وفيها (سنة ٣٥٠ هـ) اخذ أهل الضياع باعمال افريقية بمفرم سمي التضييع ، وزعموا انه من بقايا التقسيط » . والى جانب ذلك ، انشأوا داراً سموها (بدار المحاسبة) كاجراء احتياطي لعدم اختلاس الاموال من قبل الجباة(١٩) .

بالاضافة الى هذا التنظيم الدقيق في الجباية، اهتم الفاطميون بالتجارة، فعمدوا الى تنظيم الاسواق وانشاء غيرها ، فقد انشأوا حي القاسمية التجاري في مدينة القيروان ونقلوا اليه التجار ، وبعد الانتهاء من مدينة المهديّة التي بنيت في عهد عبيد

الله الفاطمي ، انشأوا فيها الاسواق التجارية ونقلوا اليها التجار من مختلف الامصار واجروا نظاما دقيقا عليهم في استخلاص المكوس منهم (٢٠) ، وبسطوا سيطرتهم على الطرق البحرية التي درت عليهم اموالا كثيرة وحاولوا الوصول الى مسالك تجارة الذهب ببلاد السودان (٢١) . ولكنهم وقعوا في صراع حاد مع الامويين بالاندلس وانتقل هذا الصراع بدوره الى القبائل المغربية المناصرة لهم والمعادية . فقبائل زناته كانت معادية لهم مناصرة للامويين ، اما صنهاجة فكانت معادية للامويين مناصرة للفاطميين مما ادى الى اشتعال الحروب فيما بينهم . ولكن هذا الصراع لم يضعف خزينة الدولة فكان لها من افريقية والمغرب عامة ما يزود خزنتها بالمال الكثير من العملة الذهبية (٢٢) ، حيث تصف بعض المصادر رحيل المعز لدين الله الفاطمي الى مصر وحمله سبائك الذهب على شكل طواحين ، ولعل هذه الثروة الذهبية هي التي اعتمد عليها المعز لدين الله الفاطمي في اسقاط العملة العباسية بمصر اذ نقص دينار الخليفة الراضي بمقدار الربع واصبح يصرف الدينار المعزي بمقدار خمسة عشر درهما ونصف (٢٣) . اما المرابطون ، فقد اقتصر خراج افريقية في عهدهم على زكاة الفطر والاعشار ، والجزية المفروضة على الذميين ، والخمس من غنائم الجهاد ، واما ما عدا ذلك من الضرائب الاخرى التي تخالف الشرع فقد الفيت جميعها . .

ويشيد السيلاوي بحسن عملهم في جباية الاموال بقوله : « ولم ير في بلد من بلاده » يوسف بن تاشفين « ولا عمل من اعماله ، على طول ايامه ومن اتى بعده ، رسم مكس ولا خراج في حاضرة ولا بادية ، الا ما امر الله به ، واوجبه حكم الكتاب والسنة » (٢٤) وتضمنت وصية الخليفة العباسي القائم بامر الله التي تحمل صك البيعة للامير يوسف بن تاشفين سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م والتي كتبها ابو سعيد العلاء بن وهب بن موصلايا ما يأمره فيها باخذ الزكاة حسب الاصول الشرعية ، واختيار عمال الخراج والضيايع والاعشار ورجال المحاسبة ممن اتصفوا بالصدق والعفة والنزاهة واوصاه بمحاسبة النظر على ما يأخذون من الاموال العينية من الضيايع والتزام سعاة الصدقة باخذ المقرر لهم من المواشي على السائمة منها دون العاملة حسب السنة النبوية . .

وركز في وصيته على دار السكة واوصاه بان يكون النقد المسكوك حسب المثقال الشرعي خاليا من الغش والتدليس .

وطلب منه بان لايرحق اهل الذمة بالجزية ، وان تؤخذ منهم على قدر استطاعتهم حسب ما هو مالوف ، وان لا تؤخذ من النساء والصبيان والشيوخ ، ومن تبتل من الرهبان ، وان يرسل الى الخليفة العباسي ما اوجبه الشرع من الفئء والغنائم (٢٥) .

وعلى هذا النهج سار الأمير يوسف بن تاشفين ومن تبعه من أحفاده بأخذ الضرائب إلى حد ما .

وأما الدولة الموحدية ، فقد حرصت في بادئ أمرها على الاقتداء بالدولة المرابطية التي قامت على انقاضها فالتزمت أحكام الشرع في جباية الضرائب ، ويظهر هذا واضحا في الرسالة التي أنفذها الخليفة الموحد عبد المؤمن بن علي إلى الطلبة والمشايع والأعيان والناس بالاندلس كافة سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م ، والمسماة في التاريخ بالرسالة الجامعة (٢٦) ، يخبرهم فيها بأسقاط المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسي وغيرها من وظائف الجباية المخالفة للشريعة الإسلامية (٢٧) وأرسل رسالة أخرى بنفس المضمون إلى أهل قسنطينة عند الاستيلاء على مدينة بجاية من أيدي المرابطين سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م ، تحدث فيها عن أهل « الاختلاق والبدع » وما فرضوه من قبالات ومكوس وأعشار ، مطالباً إياهم بإجراء الشريعة عند سن قوانين الجباية . وراحة الناس من وظائف الجباية المخالفة لها ، على أن هذه الإجراءات لم تكن إلا مجرد شعارات قصد منها ترسيخ دعائم الدولة لأن الأموال الجبّية لم تكن كافية لسد حاجاتها خاصة وأن الجيش الموحدى ازداد عدده واتسعت رقعة نفوذه في المغرب والاندلس ، مما اضطر الدولة إلى البحث عن موارد جديدة لتغطية النفقات المتزايدة (٢٨) .

مع هذا ، قام الخليفة عبد المؤمن بمسح أراضي الدولة سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م ، ورسم خريطة لذلك اسقط منها ثلثي أراضي الخراج ، وفرض على الباقي من الأراضي خراجا يدفع نقدا أو عينا (٢٩) ، وسمي عمله (بالتكسير) (٣٠) ، وساعده عدد من خبراء الخراج والفقهاء مراعين في فرضه حالة السكان ونوع التربة والإنتاج لأفريقية وبقية البلاد المغربية في عهدهم . وضمت خطة الأشغال في الدولة الموحدية مناصب عدة ، منها مناصب **متولي أشغال البرين - المغرب والاندلس** - الذي كان يسمى في الأيام الأولى للدولة الموحدية بالأعمال العلية والأشغال السلطانية والذي أسند إلى زيد ابن يوجان (٣١) أيام الخليفة المنصور الموحدى ، لكنه سرعان ما تغير من حيث التسمية والمهام واستعيض عنه بمنصب (**أشراف البرين وضم الأعمال وتفقد الأشغال**) . وأصبح موكلا لغير واحد يقوم بمهامه ويسمى بصاحب الأشغال ، ويأتي بعده في الترتيب الوظيفي ، صاحب **الأعمال المخزنية** ، يليه **متولي المجابي ثم متولي أموال النفقات والمحاسبة** ، و**متولي أعمال المستخلص** (٣٢) .

وكان لمتولي الأعمال المخزنية سلطات واسعة تختلف عن غيره من متولي وظائف الجباية في الدولة ، فله الحق في الإشراف على جمع الأموال وإنفاقها ، وفي مراقبة العمال المشرفين ومحاسبتهم والقبض على الجناة منهم (٣٣) . وكان له وكلاء في سائر

المدن الكبرى يسمون بالمشرفين ، وله من ينوب عنه في اشبيلية بالاندلس يسمى (بصاحب المخزن) . ولكل مشرف من هؤلاء المشرفين عدة موظفين يختلفون عن بعضهم باختلاف اشرافهم يسمى كل واحد منهم بالخازن ، فهناك خازن على المال ، وخازن على الطعام وجميع هؤلاء المشرفين مسؤولون أمام صاحب الاعمال المخزنية عن الصادر والوارد للمخازن العامة التابعة للدولة ، بالإضافة الى رقابة سجلات الجباة الذي يجبون الضرائب من مختلف المناطق(٢٤) .

ونظرا لكثرة اعمالهم وتعدد مسؤولياتهم ، فقد عين لهم وكلاء يقومون بالاشراف على الجباة المنتشرين في مختلف المناطق ، وهم الصلة ما بين المشرفين والجباة ، ولذا كانت تصدر أموالهم وتزهد ارواحهم بسبب ما يهتمون به من الاختلاس(٢٥) .

اما متولي المجابي ، فتقتصر مهمته على تحصيل الضرائب ، والجزيات على مختلف اصنافها وله عمال في المدن والقرى يساعدونه في اداء مهمته .

واما متولي المستخلص ، فتتخصص مهمته في الاشراف على أموال السلطان والمحافظة عليها ، فيقوم بتحصيل ما يتعلق بها من الاموال من مختلف ابواب الدخل .

وقد تسند هذه الوظيفة الى صاحب الاعمال المخزنية ، فيباشر الاشراف على السهام السلطانية ، وياخذ ما للسلطان من حصص وحقوق شرعية من الفنائم والفيء، التي تذهب الى خزينة الدولة ، وما يضاف لها من الاموال المصادرة التي تؤخذ من خصوم الدولة ، ومن يلحق بهم من عمال الجبايات المتهمين بالاختلاس(٢٦) .

ولم تقتصر المصادرة على هؤلاء ، بل تعدتهم الى رجال الذمة من اليهود والنصارى من رعايا الدولة ، خاصة أيام الاضطهاد والمطاردات التي كانت تحدث لهم بين الحين والآخر ، بالإضافة الى فرض ضرائب جديدة ومكوس على مختلف أنواع المعاملات من البيع والشراء ، والصادر والوارد ، وبالجمل كانت الضرائب تفرض على ابناء الامة كلما احتاجت الدولة اليها ، شأنها في ذلك شأن غيرها من الدول المعاصرة لها .

وكانت العملة الموحدة مكونة من الدينار الذهبي والدرهم الفضي، وربما استعمل المثقال الذي له نفس وزن الدينار ، واستعملت الاوقية التي لها نفس وزن الدرهم .

وقام الخليفة المنصور الموحي باحداث تغييرات على نظام العملة ، مثل مضاعفة وزن الدينار بقصد تسهيل المعاملات بين الناس(٢٧) .

واهتمت الدولة الموحدية في بداية عهدها بالزراعة ، وشهدت البلاد رخاء كبيرا ، لكنه ما لبث أن انعكس بسبب المحن الطبيعية والفتن الداخلية (٢٨) . فقد قام عرب افريقية بمؤازرة الثائر ابن غانية ، وعاثوا في الارض الافريقية فسادا ، فقطعوا السبل ونهبوا المتاجر وخربوا البسائط مما انعكس على اقتصاد افريقية خاصة والمغرب عامة ، وما كادت الدولة تنتهي من هذه الفتنة حتى منيت بكارثة عسكرية كبيرة ، تمثلت في معركة العقاب سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م زمن الخليفة محمد الناصر الموحي فكان لها آثار سلبية كبيرة على الناحية العسكرية والاقتصادية حيث تفشى الغلاء ونهبت المتاجر واضطربت الاحوال ، ونشبت حروب أهلية بسبب الصراع على كرسي الخلافة ، واشترك في هذا الصراع بعض القبائل العربية والبربرية ، مثل هسكورة وعرب الخلط ، كل هذا عجل بنهايتها والقضاء عليها على ايدي المرينيين الذين استولوا على الحاضرة مراكش وانتهى الحكم الموحي في المغرب بقتل آخر خليفة موحي المعروف باسحاق سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م .



أما الحفصيون ، فكانت خزintهم تتكون من الزكاة والخراج التي سلخوا في اخذها مسلك الدولة الموحدية ، فكان يشرف على ديوان الجباية **صاحب الاشغال** (٤٠) الذي كان يقوم بمراقبة الصادر والوارد الى الخزينة ، وجباية الاموال في اوقاتها والتأكد من صحة كشوفها ومحاسبة من تهاون من الجباة في عمله . وبالجملة يقوم بمراقبة من هو دونه من اصحاب وظائف الجباية ، ولاهميته كان يشترط فيه ان يكون من عصبة الموحدين (٤١) ، فان تعذر وجوده لعدم خبرته في الحسابات عين غيره ممن اتصف بالاخلاص والافتان وحسن التصرف ، وهو الذي اشار اليه ابن خلدون في مقدمته : « بقوله : » وكان صاحبها يستقل بالنظر في استخراج الاموال وجمعها وضبطها ، وتعقب نظر الولاة والعمال فيها ، ثم تنفيذا على قدرها وفي مواقيتها . وكان يسمى بصاحب الاشغال ، وفي بعض الجهات قد يليها غير الموحدين ممن يحسنها » (٤٢) .

ولجأت الدولة الحفصية فيما بعد الى الاستعانة ببعض خبراء هذه المهنة من الاندلسيين لممارستهم اياها في بلادهم ، ويبدو ان مثل هذه الوظائف وغيرها من وظائف الدولة اخذت - احيانا - طابعا اسريا يورثها الاب لابنه ، فأسرة بني سعيد القادمين من قلعة يحصب الواقعة بالقرب من غرناطة والمروفين ببني ابي الحسن ، استخدمهم الامراء الحفصيون في هذه الخطة ، وارتضوا بهم دون سواهم ، واصبحت متداولة

بينهم وبين الموحدين ، ولكن الحفصيين طوروا اسلوب الاختيار في التعيين فلم يقصروها عليهم ، بل افسحوا المجال لغيرهم من عمال الجباية من اتصفوا بالكفاية وابدوا من حسن الاعمال ما يسترعي النظر . من هؤلاء ، ابن محمد الجوهري الذي شد نظر السلطان ابي زكريا في ضبطة جباية (مال العمود) (٤٢) ، وهي الجباية المفروضة على البدو بافريقية من العرب والبربر ومن ساكنهم ، وقام بتسجيلها في الديوان (٤٤) باسم ضريبة العمود بعد ان فصلها عن غيرها من خطط الجباية . واستطاع بحسن تصرفه ان يدخل للخزينة منها أموالا كثيرة كانت تذهب الى جيوب العمال والولاة ، فكانت سببا في ترقيته وتعيينه في جباية الاشغال بمدينة تونس (٤٥) .

لكن الجوهري هذا ، عادى ابناء مهنته واصحاب الشأن في الدولة امثال ابي علي بن النعمان (٤٦) وابي عبد الله بن الحسين (٤٧) ، فوشيا به ، واثبت سلوكه صدق قولهما فيه ، بالاضافة الى اكتنازه الاموال ، وتقريبه الرجال واغتراره بنفسه ، فكان غروره سببا في قتله .

ومن الذين عينوا من اهل البلاد ، زمن السلطان المستنصر ، أحمد اللياني (٤٨) الذي كان واليا على الخطط المخزنية ومن ضمنها خطط البحر (٤٩) . ولم يقتصر الامر على الموحدين وسكان البلاد الاصليين بل تعداهم الى الموالي ، امثال المملوك مدافع الذي عين على خطة الجباية زمن السلطان ابي اسحاق بن الواثق . ومن الاندلسيين ، محمد ابن يعقوب ، وابو القاسم بن الطاهر وغيرهم ممن شغلوا هذا المنصب في اواخر القرن السابع واول القرن الثامن الهجري (٥٠) ، وبالجمله فان وظائف الجباية في الدولة كانت توزع على من يتقنها وان استأثر الاندلسيون بها اكثر من سواهم بسبب معرفتهم اسرارها .

والملاحظ ان صاحب الاشغال كان عرضة للاتهامات وغالبا ما يكون مصيره القتل ، فاللياني قتل على عهد السلطان المستنصر بالله (٥١) سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م ، وسعيد ابن ابي الحسين قتل على عهد الواثق بالله وصودرت املاكه وذلك سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٨ م ، وابو بكر محمد بن خلدون قتله مفتصب العرش ابن ابي عمارة (٥٢) ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م .

وبصرف النظر عن التهم الموجهة اليهم من اختلاس الاموال ، الا ان سعي الوشاة وكيد الحاسدين والصراع على الوظيفة كان سببا جوهريا في حدوث هذه التكبكات . ولكن الامر لم يقتصر على الفقهاء او الكتاب بل تعداه الى رجال الجيش ، فقد وكل السلطان المتوكل على الله ابو فارس بن ابي العباس احمد مملوكه وقائد جيشه نبيلًا

أبا قطاية خراج قسنطينة وما حولها ابتداء من بيجابة وانتهاء بعنابة لمدة خمس سنين وذلك سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م ، فانفرد بها واصبحت له سطوة وحرمة عند الرعية فكانت ترهب جانبه وتخشى بطشه وتتقي غضبه ، وركبه الفرور مثلما ركب غيره ، وكان اذا انفرد ذو الحاجة به وجده موافقا لغرضه محققا لطلبه ، لكنه كان يأخذ بالظن ويبنني عليه أحكامه (٥٢) . وظن انه انفرد بالسلطة ، لكنه سرعان ما لقي مصيره مثل سابقيه ، فقد أمر السلطان أبو عبد الله محمد المنتصر بتعذيبه حتى زهقت روحه ، وصودرت أمواله التي قدرت بمبالغ طائلة ، وضعت في خزينة الدولة (٥٤) .

ويبدو ان بيت المال كان محط أعين الطامعين والمتكالبين عليه فقد مر بظروف حرجة فكان صاحبه يؤخذ بالظنة ، زيادة على سوء تصرف البعض من موظفيه ممن ركبهم الفرور وتصرفوا بالامور حسب أهوائهم .

وقد اسند بيت المال في بعض الفترات الى جباة من النصارى شأنهم في ذلك شأن جيرانهم من الدول الاسلامية كبنى مرين بالمغرب ، والمماليك (٥٥) بمصر ولعل هذا يرجع الى دراية النصارى بهذه المهنة واتقانهم لها ، بيد أن منهم من ركب ما ركب غيره من جباة المسلمين . فقد حدث أن توسل رجل من المسلمين لاحد الجباة من النصارى في امر من امور المال ، فاستشاط الجابي (٥٦) غضبا وقال له : « والله لو جاء معك نبيك ما نفعتك ذلك » وعندما علم السلطان استشاط غضبا وعهد هذا التصرف استهتارا بالدين ، فأمر باحراقه ، واحتج أهل ملته على هذا الحكم ، وعرضوا على السلطان افتدائه بالمال ولكن السلطان رفض قائلا : « والله لو بذلوا لي فيه ملء الدنيا ذهبا ما بعت بذلك عرض النبي صلى الله عليه وسلم » ، وأمر باحراقه (٥٧) . ويبدو أن هذه الوظيفة قد زاولتها كثير من الأيدي مما أدى الى الفوضى والاضطراب فيها الامر الذي كان يدفع السلطان الى وضع حد للعابثين والمنتحلين لها ، ومن التقاليد المتبعة لدى الامراء أن يقوم الامير الجديد في بداية ولايته بالفاء الاموال المتبقية على العمال وهو ما كان يسمى عندهم « بأزمة الخطايا » (٥٨) ، ولكن سوء تصرف بعض الجباة ممن أولاهم السلطان ثقته كان يثنيه عن اسقاطها مثلما فعل الفقيه يحيى بن عبد الملك الفافقي المكنى بابي الحسن والمعروف بابن الخبير الذي منع السلطان الواصل من اصلاح حال الرعية باسقاط عدد من الضرائب عند التولية (٥٩) مع ان هذا الالفاء لا يدوم طويلا فما اسرع ما يلقي السلطان ما أعلنه ويعيد الضرائب الى ما كانت عليه وربما الى أسوأ . فيمتنع ابناء الامة عن تاديتها ، أما لغداحتها واما لعجزهم عن ادائها فيقوم السلطان بتجريد الحملات العسكرية للولايات المتمردة .

ومن هؤلاء السلاطين ، أبو عمرو عثمان الذي امر بتجهيز حملة عسكرية سنة

٨٩٦هـ / ١٤٩١م لغزو تلمسان وتأديب الاعراب الضارين حولها لامتناعهم عن دفع الضرائب، وقبل ان يصل الى تلمسان علم الاعراب بقدومه ، فأوفدوا اليه وفدا مكونا من عرب السويد وبني يعقوب والدواودة من بني عبد الوادي وبني عامر معلنين له الطاعة ومعهم الجبايات المفروضة عليهم .

ويبدو ان هذا الامر لم يكن عند بني حفص فحسب ، بل كان عند جميع الدول المجاورة لهم . وهذا ناتج عن منح السلطان الاقطاعات الكبيرة الى شيوخ القبائل ثم مصادرتها فيما بعد ، وفرض ضرائب على ما تبقى منها مما يدفع الشيوخ الى اعلان التمرد ، فتضطّر الدولة الى تجريد الحملات العسكرية لاختمادها .

ويبدو انه تم حدوث اتفاق غير مدون ما بين الدولة من جهة ومشايخ القبائل من جهة اخرى ، فالسلطان ابو عمرو عثمان ، انتقض عليه اعراب افريقية من اولاد مسكين واولاد يعقوب والشنانقة بعد رجوعه الى تلمسان بسبب عدم انصافهم في العطاء الذي كان يقدمه لهم كل عام ، فقد حدث في هذا العام ان اعطاهم الامير نقدا جديدا بدل القديم ، ولانه كان اقل وزنا من القديم فقد عدوه ناقصا وطالبوا بالنقد القديم بدلا منه (٦١) ..



وبعد الاشارة الى سلوكيات اصحاب الجباية ، لابد لنا من الاشارة الى وظائف الجباية في الدولة وأهمها : الاشراف على جباية تونس وبيجاية التي تعد من وظائف الجباية العليا ، وقد يقتصر اشراف صاحبها على جباية الحضرة (تونس) دون غيرها من المدن ، ويسمى صاحبها بصاحب (٦٢) الاشغال ، وقد يوكل اليه الاشراف على اموال السلطان الموسومة بعلامة مميزة تميزها عن غيرها من الجبايات ليسهل معرفتها وعدم اختلاطها بأموال الدولة (٦٣) وتسمى (بالسهام السلطانية) يقوم بجمعها من مختلف ابواب الدخل ، ويضعها في خرائط خاصة بها .

وفي هذا الصدد يشير المراكشي الى السهام السلطانية للسلطان ابي محمد عبد الواحد بن الشيخ ابي حفص المتوفى سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م بقوله : « .. ولم يعد يوجد بتركته الا خرائط (٦٤) مكتوب على كل واحدة قبرة » (٦٥) . وهذا اشارة الى المال الذي خلفه السلطان من سهامه السلطانية بقبرة الواقعة بنواحي الحاضرة قرطبة بالاندلس .

والملاحظ ان صاحب هذه الوظيفة يتمتع بمكانة خاصة عند السلطان ، فقد يتولى اخذ البيعة له من العامة والخاصة . ومن الجباة الذين تولوا هذه الخطة زمن السلطان المستنصر ، ابو عثمان سعيد (٦٦) بن ابي يوسف ، الذي أخذ له البيعة من الخاصة والعامة سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م ، وتولاها من بعده كل من كاتب السلطان الفقيه يحيى ابن عبد الملك القافقي المكنى بابي الحسن والمعروف بابن الخير (٦٧) ، وابن تافراجين الذي كان يجري العوائد السلطانية في الدولة (٦٨) .

وارتبط بصاحب هذه الوظيفة المسمى بافريقية (بصاحب الاشغال) وبالاندلس والمغرب ب (مختص الحضرة) متولي المجابي المختص بتحصيل الضرائب على مختلف اصنافها وله عمال في المدن والقرى يساعدونه في اداء مهمته . من متولي هذه الخطة ايام السلطان عمرو عثمان ، ابراهيم بن عصفور .

وممن ارتبط بصاحب الاشغال ايضا ، كاتب قلم الجباية والتنفيذ ، وناظر بيت الحساب المسمى الان بدار المحاسبة . وكان ممن تولى هذه الخطة ، ابو عبد الله محمد الميسلاتي (٦٩) سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٤م . ولكنه لم يمض عام على تعيينه حتى عزل عنها في اواخر شهر رمضان من نفس السنة ، وعين بدلا منه الفقيه محمد بن الكماد (٧٠) .



اما الضرائب ، فمنها ضريبة التضييف (٧١) التي ابتدعها ابن نخيل كاتب الدولة (٧٢) الرسمي حينذاك والتي كانت تفرض على القرى والوادي ، وبقيت قائمة الى ان قام السلطان ابو العباس احمد بن عبد الله محمد بالفائها من قرى قرطاجنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م ، وعدلوا هذا التصرف من محاسن افعاله . ومن الضرائب ، ضرائب ديوان البحر (٧٣) الذي كان مميذا عن غيره من الضرائب ، فكانت جميع الموانئ التجارية مفتوحة مع اوروبا ، وكان لهذه الموانئ مكاتب خاصة بها تتبع ديوان الاشغال وتقوم بقبض الاتاوات المعبر عنها بالخمس والتي تقدر نسبتها بين ٢٠ - ٣٦٪ ، بالاضافة الى المستوردين الاوربيين . ويطلق على مثل هذه المكاتب ، أحيانا ، اسم الديوان . وهذه المكاتب شبيهة بمكاتب القبض الجمركي (٧٤) ، والمراقب المحلي لها يسمى المشرف . ولتسهيل العمليات الجمركية وضمان أمن التجار المسيحيين والمحافظة على بضائعهم ، نجد قرب هذا الديوان مخازن لكل فئة من فئات الامم المتاجرة (٧٥) .

ومن ضرائب الجباية الهامة لخزينة الدولة ، جباية ولاية قسنطينة التي تولاها

محمد بن الدباغ ايام السلطان عمر بن ابي زكريا ، فقام باختلاسها ، والتجأ الى زاوية الزبيديين (٧٦) فارا من وجه العدالة ، فاحتال عليه السلطان حتى اخرجه منها فسجنه بعد ان كبله بالحديد وفرض عليه خمسين الف دينار ذهبا ، فدفعها واطلق سراحه .

وقام بعض السلاطين بتخصيص ضرائب للاعمال الخيرية ، من هؤلاء ، السلطان ابو فارس عبد العزيز الملقب بعزوز الذي تولى الامارة بعد ابيه السلطان ابي العباس وذلك سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣ م ، وهذه الضرائب هي :

- مجبى سوق الدهادنة (٧٧) ، وكان قدره عشرة الاف دينار ذهبا .
- مجبى سوق العطارين ، وقدره مائتان وخمسون دينارا ذهبا .
- مجبى فندق الملح ، وقدره الف وخمسمائة دينار ذهبا .
- مجبى فندق البياض ، وقدره الف دينار ذهبا .
- مجبى قائد الاشغال ، وقدره ثلاثة الاف دينار ذهبا .
- مجبى سوق القشاشين (٧٨) ، وقدره مائة دينار ذهبا .
- مجبى سوق الصفارين (٧٩) ، وقدره خمسون الف دينار ذهبا .
- مجبى سوق العزافين ، وقدره خمسون دينار ذهبا .
- مجبى سوق الصابون ، وقدره ستة الاف دينار ذهبا . وقد ابسح عمله بعد ان كان ممنوعا ، وكان يفرم صانعه بالعقوبة المالية والبدنية معا . والقى السلطان ما كان من منكر الخراج ، كخراج الشرطة ، الذي كان يلزم غير واحد من الفقراء والمساكين بدفع ثلاثة دنائير ونصف الدينار ذهبا ، يدفعونه لحاكم المدينة ، وقد غير السلطان ابو فارس عبد العزيز الاسلوب المتبع في اخذها ، خاصة وان الجباة القائمين عليها كانت تنقصهم التقوى ومخافة الله ، فاشتطوا في جمعها وارهاق الناس بها بقصد ملء جيوبهم من اموالها ، فعين السلطان موظفين بمنزلة اعوان للحاكم اتصفوا بالتقوى وسداد الرأي ، واجرى لهم رواتب معينة من اجل الحد من الطمع فيها . والقى ما كان على الفخارين (٨٠) من وظائف جباية ، واسقط ما كان على الزفانين (٨١) والغانيات (٨٢) والمخنثين من مغارم واجلاهم من جميع بلاده لما بلفه عنهم من عمل المناكر (*) .

(*) انظر لوحة عن النظام المالي عند الحفصيين في نهاية البحث .

أما النقود ، فكانت معاملة الدولة الحفصية من الدراهم على نوعين ، أحدهما يسمى القديم ، والآخر الجديد ووزنهما واحد ، ولكن النقد الجديد خالص ، ونقد القديم مغشوش بالنحاس تسهيلا للمعاملة في البيع (٨٢) والشراء . وأي درهم يقبل دون ان يميز ، فهو درهم عتيق ، وهناك تفاوت بينه وبين الدرهم الجديد . اذ ان كل عشرة دراهم عتيق تساوي ثمانية دراهم جدد ، وفي مصطلح الاهالي ان كل عشرة دراهم عتيق تساوي ديناراً .

والى جانب الدينار استحدث الخليفة المستنصر بالله سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م ، سكة من النحاس على قيمة الدرهم من الفضة حاكي بها الفلوس بالمشرق تسهيلا للناس في معاملتهم وتيسيرا لقضاء حاجاتهم ، وسميت بالهندوس يعني السوداء تميزا لها عن غيرها من القطع النقدية (٨٤) ، لكنها هي الاخرى لم تسلم من الفش والتدليس والنقص في الوزن ، مما ادى الى افسادها وعدم الثقة بها ، الامر الذي دعا السلطان الى عقاب من قام بغشها ، وعمل على افسادها ، وأصبح وجودها مشكلة ونتج عنه اضطراب في البيع والشراء ، فانهى بها الامر الى الغائها . وقد اقتدى سلاطين بني حفص في سك القطع النقدية من حيث الشكل والكتابة بدولة الام « الدولة الموحدية » (٨٥) . ولم يشذ السلاطين من بعد السلطان ابي زكريا يحيى بن ابي محمد عبد الواحد ، المؤسس الاول لهذه الدولة ، عن هذا الاقتداء الا في أواخر القرن العاشر الهجري ، اذ قلدوا نقود الاتراك في سكهم .

وقد اصدر السلطان ابو زكريا ديناراه المكتوب عليه في الدائرة من الوجه الاول : « بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد ، والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » ، وفي وسط المربع منه « الامير الاجل ابو زكريا ، يحيى بن ابي محمد بن ابي حفص » وفي وسط المربع منه « ابو محمد عبد المؤمن بن علي - أمير المؤمنين - الحمد لله رب العالمين » . ونقش في وسط ديناراه المربع أحيانا والمستطيل أحيانا أخرى قبل بيعته بالخلافة (٨٦) من قبل شريف مكة العبارة التالية : الشكر لله ، والمنة لله ، والحوال والقوة بالله » ، ولما جاءته البيعة رسم على ديناراه « المستنصر بالله ، المؤيد بنصر الله - أمير المؤمنين » وفي وسط المربع : « ابو عبد الله محمد - بن الامراء الراشدين » (٨٧) .

وعندما دخلت الدولة تحت الحماية الاسبانية ساءت نقودها ، وأصبحت على جانب كبير من الرداءة من حيث السبك والكتابة مما دل على دنو أجلها ، لان الكتابة والسبك الجيد دليل على رقيها .

واما رطل الدولة فمقداره ست عشرة اوقية ، ووزن الاوقية واحد وعشرون درهما من دراهم الدولة(٨٨) .

اما الكيل فهو على نوعين ، قفيز وصحفة ، فاما القفيز ، فهو ست عشرة وبيه ، وكل وبيه تساوي اثني عشر مدا قرويا(٨٩) ، اي ما يقارب المد النبوي، وتساوي ثمانية بالكيل الحفصي(٩٠) .

واما الصحفة ، فتساوي اثني عشر مدا بالكيل الحفصي ، اي ما يساوي مدا ونصف بالكيل القروي .

واما الاسعار : فغالبا ما يكون ثمن كل قفيز من القمح خمسين درهما من الدراهم القديمة والشعر دون ذلك .

واما الحسبة ، فكان لكل محتسب زمام باسماء المكايل ، فمن عثر على كيل غير مضروب او غير مطبوع ، او مطبوع في غير وقته عوقب صاحبه .

وكان لكل نوع من المواد الغذائية مكيال يناسبه ، فالزيت له مكيال من الفخار لانه يفسد في المواد المعدنية ، وترسم في المكيال علامة ظاهرة ينتهي اليها حد الكيل ليبرها البائع والمشتري(٩١) .

وفي نطاق الاحباس عند الحفصيين ، بنى السلطان ابو عمرو عثمان الميضات(٩٢) الضخمة الموجودة بدرب ابن عبد السلام داخل جامع الزيتونة ، وأمر باجراء الماء الساخن لها في الشتاء .

وبنى السبالة الواقعة شرقي صومعة جامع القصبة بالحضرة ليشرب منها المارة، وبنى سبالة أخرى وضع عليها جعابا من النحاس ليشرب العطشى من الناس . وقام بحفر بئر بالقرب من مارستان الحضرة ، لقلّة الماء في المارستان وبذلك انتفع به المرضى ومن يسكنون بجوار المستشفى .

ودفعه اهتمامه بالمرافق العامة الى بناء زاوية تسمى بزاوية الفندق وزودها بجميع ما تحتاجه من فرش وكساء ومواد غذائية لينزل بها الغرباء القادمين من ضواحي مدينتي القيروان وتونس ، وبنى على منوالها الكثير من الزوايا في اماكن مختلفة من القطر التونسي للغرض نفسه . وأمر ببناء باب الجبيلة الواقع ما بين بابي برج الاونقي بتونس ، وجلب له الماء من خارج الحضرة(٩٣) .

وقام السلطان ابو يحيى ابو بكر بحبس ربع املاكه على الجامعين الاعظمين بقسنطينة (٩٤) . أما نظارة الاحباس في مدينة تونس فكان لها ارتباط بجبايتها فقد يعين صاحب الاحباس بالحاضرة على الجباية فيها مثلما حصل مع ابي عبد الله محمد ابن عصفور الذي نقل من نظارة الاحباس الى الجباية بتونس زمن السلطان ابي عمرو عثمان سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م لما عرف عنه من ضبط الاعمال وحسن الاشراف ، فقام بواجبه خير قيام في ادارة الاحباس ، ومنع من تسول له نفسه الاستيلاء عليها او تعطيل مهامها او تغيير مكانها (٩٥) .

كما اشرف على المرافق العامة من طرقات وقنوات وبساتين اوقفت ليتامى البلد ومساكنها ، فيقوم بالمحافظة عليها وعلى ثمارها لينتفع من ثمارها ذوو الحاجة من الفقراء . وكان عمله في المحافظة على المعالم المحبسة منطلقا من الآية الكريمة :

« فمن بدله (٩٦) بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ، ان الله سميع عليم » (٩٧) .

والواقع ان الاحباس ادت ادوارا متعددة فالى جانب ما تقوم به من اعالة المساكين كانت تقوم بمهام ثقافية وعلمية ، فقد عهد السلطان ابو عمرو عثمان الى الشيخ الفقيه محمد الزنديوي بالاشراف على المدرسة التي بناها بمدينة تونس سنة ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م ، وعهد اليه في الوقت نفسه بالاشراف على الزاوية المعروفة بدار صولة في نفس المدينة وحبس عليها ما يقوم بنفقاتها ، وقام باصلاح المدرسة الموجودة بسوق الفلق (٩٨) احدى اسواق المدينة بتونس بعد ان كانت مهملة وعين مشرفا عليها الفقيه ابا عبد الله محمد عقاب ، وحبس عليها من العقارات والاراضي ما يقوم بسد نفقاتها (٩٩) .

ودفعه اهتمامه بالمراكز العلمية الى تجديد بناء مقصورة الشيخ محمد بن خلف الواقعة شرقي جامع الزيتونة ، وزود خزائنها بما تحتاج اليه من الكتب العلمية .



وبعد ، فقد انطبق على النظام الجبائي الحفصي من كثرة الضرائب والاستغلال مثلما انطبق على غيره من نظم الجباية للدول المعاصرة له او التي سبقته ، فنرى ان الدولة في بداية امرها حرصت على ان يكون نظام جبايتها يتفق والشرعية الاسلامية قصد

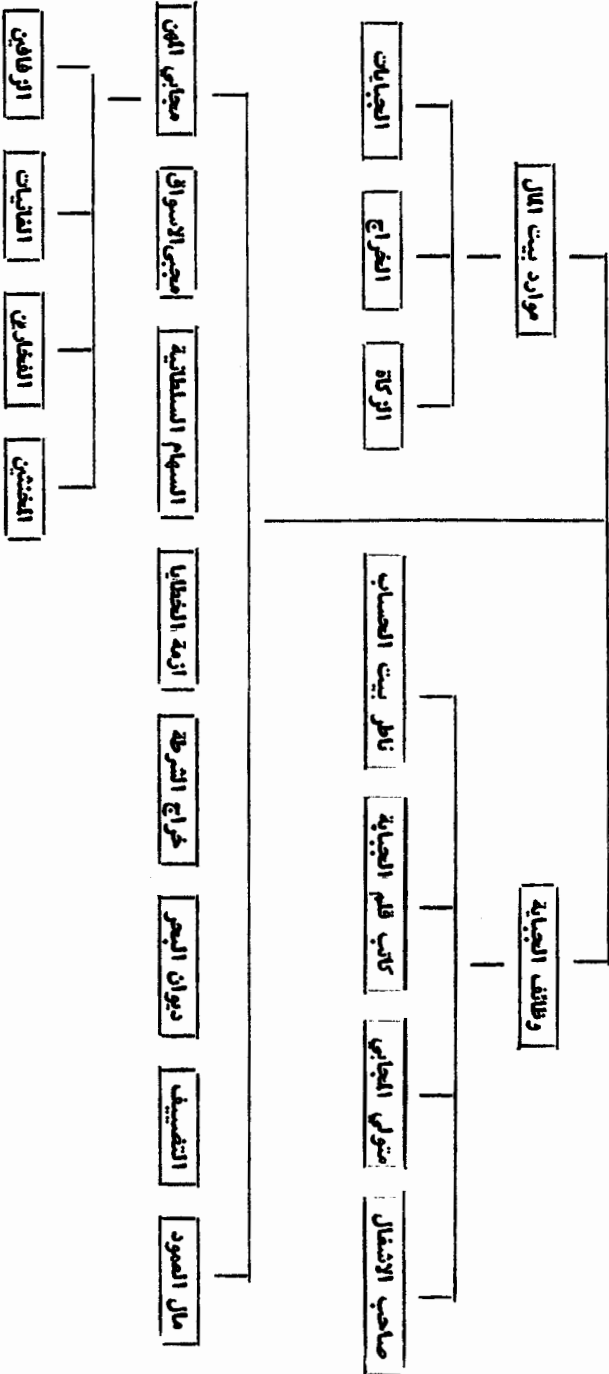
دعم أركانها ولكنها مالبثت ان أكثرت من الانقلاب المكوسية ووظائف الجباية في فروع بيت المال قصد تغطية النفقات وكثرة العطاء من حكامها الى اهل عصبتهم وصنائعهم ، مما اوجبها الى المال فلجأت الى فرض الضرائب على مختلف المبيعات ، وازدادت نسبة الضرائب ازديادا طرديا مع حاجتها الى المال ، خاصة عندما بدا يدب فيها الهرم ، مما ادى الى حدوث اختلال في الاقتصاد واضطراب في الاحوال المعيشية للسكان (١٠٠) .

ودفعت الحاجة الى المال الى مقاسمة بعض العمال والجباة اموالهم بتهمة الاختلاس وربما اختلس بعضهم بدافع الاغراء ، ولشعوره بعدم البقاء في وظيفته لكثرة المتنافسين عليها فتقوم الدولة في « امتكاك عظامه (١٠١) » حسب قول ابن خلدون (١٠٢) .

وقد يشعر امير من الامراء لسبب من الاسباب بعدم الطمأنينة على عرشه فيسلب اموال الخزينة وما تقع عليه يده من متاع مثلما حصل مع السلطان ابي يحيى زكريا اللحياني الذي نهب اموال الخزينة السلطانية وهرب بما اخذه من مال الى الاسكندرية وبقي يعيش في كنف السلطان الملوكي الناصر محمد بن قلاوون الى ان مات سنة (١٠٣) ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م ولكن على الرغم من هذا وذاك ، فقد اتسم النظام الجبائي عندهم بطابع خاص ، ميزه عن غيره من الانظمة الجبائية للدول المعاصرة ، ويرجع ذلك الى ما اتسمت به التجارة من ازدهار في ظل الأمن والاستقرار اللذين تمتعت بهما البلاد ، نظرا لعدم قيامها بحروب خارجية مثلما كان الحال في الدولة المرينية التي بذلت جهودا مشكورة في انقاذ الاندلس على منوال ما فعلته الدولة الموحدية من قبلها لتحقيق نفس الغرض .

كل هذا شد نظر الاندلسيين ، فرحلوا باعداد كبيرة اليها واستوطنوها ، فنشطت التجارة والزراعة بفضلهم ونعمت البلاد - الى حد ما - بنوع من الاستقرار الاقتصادي باستثناء الفترة المتأخرة من حكم الحفصيين وعلاقاتهم مع الاسبان ضد الانتراك وما نجم عنه من كره الشعب لهم خاصة الامير الحسن الحفصي وابنه محمد وذلك في الفترة الواقعة ما بين ٩٣٦-٩٨١ هـ / ١٥٢٩ - ١٥٧٤ م (١٠٤) .

لوحة عن النظام المالي عند المحققين
أنواع الجبايات



الهوامش

- (١) ابن خلدون ، عبد الرحمن محمد الحضرمي ، المقدمة ج ٢ تحقيق علي عبد الواحد وافي ط(٢) دار النهضة ، الفجالة مصر (د.ت) ص ٦٧٨ .
- (٢) نفس المصدر - ص ٦٧٦ .
- (٣) نفس المصدر - والصفحة .
- (٤) نفس المصدر - والصفحة .
- (٥) تولى الخلافة بعد الخليفة يزيد بن عبد الملك من سنة ١٠٥ - ١٢٥ هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣م ، قام باصلاحات عدة الى جانب تعريب الديوان منها ، تعمير الاراضي ، وتقوية الثغور وحفر القنوات والبرك في طريق مكة . راجع ، المسمودي ، ابو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ ص ١٨٤ ، القاهرة ١٩٥٨ .
- (٦) ابن خلدون ، المقدمة ج ٢ ، تحقيق - علي عبد الواحد وافي ص ٦٧٧ .
- (٧) ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم ، الخراج ، القاهرة ط٢ سنة ١٢٨٢ هـ ص ٢٨-٤١ .
- (٨) الانديسي ، الشريف ابو عبد الله محمد ، صفة بلاد المغرب واراض السودان ومصر والانديلس - لندن سنة ١٨٦٤ م ص ١١٥ وما بعدها .
- (٩) ابن عذارى ، ابو عبد الله محمد : البيان المغرب في اخبار المغرب ج ١ ، بيروت سنة ١٩٥٠ ص ٢٧ .
- (١٠) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، القاهرة ١٩٦٢ ج ٣ ص ٢٢٠ .
- (١١) لويس (ارشيبالد) : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، تعريب عيسى القاهرة - د - ت ص ١٧٤ .
- (١٢) ياقوت الحموي (شهاب الدين ابو عبد الله) معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م مج ٢ ص ١٢-١٣ .
- (١٣) ابن الاثير - محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني : الكامل في التاريخ القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ ج ٥ ص ٢٦ .
- (١٤) الانديسي ، صفة المغرب ص ١١٦ - ١١٧ .
- (١٥) القاضي النعمان ، الهمة في اداب اتباع الائمة ، القاهرة - نست-ص ٦٦ .
- (١٦) اليماني - محمد بن محمد ، سيرة الحاجب جعفر بن علي ، مجلة كلية الاداب - الجامعة المصرية ، مج ٤ ج ٢ سنة ١٩٣٦ م ص ١٠٨ ، القرطبي - عريب بن سعيد ، صلة التاريخ الطبري ، لندن سنة ١٨٩٧ ، ص ٥١ وما بعدها .
- (١٧) ابن عذارى ، البيان المغرب ج ١ ص ١٨٨ .
- (١٨) نفس المصدر ص ١٧٣ .
- (١٩) نفسه ص ١٣٩ : يبدو من بعض النصوص ان جباية التقيسيط والتضييع كانت مرهقة للفلاحين ، وادت الى فقر الكثير منهم ، يخبرنا الخشني عند الحديث عن ابي جعفر أحمد بن احمد بن زياد

- المتوفي سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م ، انه كان من الموسرين لكن مفارم التضييع افقرته . راجع ، الخشني : محمد بن الحارث بن اسد ، طبقات علماء افريقية ، الجزائر ١٩١٤ ص ١٦٨ .
- (٢٠) المريزي ، تقي الدين احمد ، اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، القاهرة سنة ١٩٤٨ م ، ج ١ ص ٩٢ .
- (٢١) Robert, Dets, J.De Vise, Tegdaoust, I, Paris 1970.
- ويبدو ان الفاطميين تعاونوا مع قبائل البجة المنتشرين في صحراء النوبة في وضع ايديهم على ذهب السودان ، وقد ازدهرت تجارة الذهب في المناطق الممتدة ما بين اسوان بمصر حتى وادي العلاقي الذي يعتبر من اهم مناجم الذهب في مصر الوسيط ، راجع ابراهيم - حركات ، دور الصحراء الافريقية في التبادل والتسويق خلال مصر الوسيط مجلة البحوث التاريخية السنة ٣ عدد يناير ١٩٨١ « مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ص ٣١ » .
- (٢٢) المريزي ، اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٩٤ .
- (٢٣) المريزي ، شذور العقود في ذكر النقود ، النجف ١٩٦٧ م ص ٢٦ وما بعدها .
- (٢٤) السلاوي ، ابو العباس احمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى ، دار الكتاب - الدار البيضاء - المغرب ١٩٥٤ ج ٢ ص ٦٠ .
- (٢٥) الفلقشندي ، ابو العباس احمد ، صبح الاعشى في صناعة الانشا - القاهرة - نت ج ١ ص ٣٥-٤٥ .
- (٢٦) مما جاء فيها : « .. ولقد ذكر لنا في امر المفارم الكوس والقبالات ، وتحجير المراسي وغيرها ما رأينا انه اعظم الكبائر جرما وافكا ، وادناها الى من تولاهما نمارا وهلاكاً .. » راجع ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الاول ص ٢١ ، « رسائل موحدية - الرسالة السابقة » .
- (٢٧) نفسه ص ٤٠٠ .
- (٢٨) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الاول ، تحقيق -ج- كولان ، ليفي برونفسال ، دار الثقافة - بيروت ١٩٦٧ م ٣٢٧ .
- (٢٩) نفسه ، ص ٣١٥-٣١٦ ، المراكشي - عبد الواحد ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ليدن ١٨٨١ م ص ١٨٣ .
- (٣٠) تسمى عملية المسح بمصر المملوكية بـ « (الروك) » راجع ، حسن - علي ابراهيم ، دراسات في تاريخ الممالك في عصر الناصر محمد ط ٣ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٤٨ م ص ٣٢٦ ، ابن صاحب الصلاة - عبد الملك ، تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين ، السفر الثاني ، تحقيق - عبد الهادي النازي ، دار الاندلس - بيروت ط ١ سنة ١٩٦٤ ص ٣٢١ .
- (٣١) البيان المغرب - القسم الثالث ، تحقيق ، ج-س كولان ، ليفي برونفسال دار الثقافة - بيروت ١٩٨٠ م ص ٢٠١ - ٢٢٦ .
- (٣٢) نفسه ص ٢٢٧ - ٢٨٣ .
- (٣٣) نفسه ص ١٣١ ، ٢٠١ ، ٢٢٧ .

- (٣٤) نفسه ص ١٣١ ، ١٧٢ .
- (٣٥) نفسه ص ٣١ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٣١ ، ٢٣٧ .
- (٣٦) البيان المغرب القسم الثالث ص ٧٣ .
- (٣٧) ابن صاحب الصلاة ، المن بالامامة ، السفر الثاني ، ص ٦١ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٢٠ ، المتوني - محمد ، العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين تطوان ١٩٥٠ ص ٢٥٧ .
- (٣٨) عثان - عبد الله ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندرلس ، جزاءن ، لجنة التأليف والنشر القاهرة ط ١ ، ١٩٦٤ م ص ٢٦ - ٦٢٧ .
- (٣٩) ابن خلدون - عبد الرحمن محمد ، تاريخ ابن خلدون مج ٧ دار العلم بيروت ص ١٨٢ .
- (٤٠) حدث تغيير في تسميته زمن السلطان ابي فارس عبد العزيز او عزوز سنة ٧٩٦ - ٨٣٧ هـ / ١٣٩٤ - ١٤٣٢ م ، وصار يسمى بالمنفذ اي صاحب الجباية والتنفيذ في الدولة راجع :
- Brunschrig, Robert, La Berberie orientale sous les Hafside, 2 tomes, Paris 1940 - 1947 , P. 58.
- (٤١) عين بعض السلاطين اولادهم على خطط الجباية في الدولة . راجع : الباجي ابو عبد الله محمد السعودي ، الخلاصة النقية في امراء افريقية ص ٧٠ .
- (٤٢) ابن خلدون ، المقدمة ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت ص ٢٥٤ .
- (٤٣) سميت بمال العمود لانها تعني الخيمة ، فكانت تؤخذ من اصحاب الخيام عن هذه الضريبة راجع ، ابن خلدون ، تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب ، دار الطباعة السلطانية ، الجزائر ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٧ م ج ١ ص ٣٩٥ ، الزركشي ، (ابو عبد الله محمد بن ابراهيم) : تاريخ الدولتين الموحديين والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة تونس ١٩٦٦ ص ٢٩ .
- (٤٤) مكان تسجيل المكوس والاعشار وادائها ، ثم خصصت كلمة « الديوانة » للمراكز المقامة على الحدود بين قطر واخر لمراقبة السلع المجلوبة والمسوقة - المستوردة والمصدرة - واستخلاص الضرائب المفروضة عليها فهي تعادل كلمة جمرك . والملاحظ ان هذه التسمية مازالت متداولة على السلسل العامة في الجزائر فيسمون دائرة الجمارك بالديوانة (مشاهدات الباحث) .
- (٤٥) كانت هذه الخطة نقطة انطلاق لتوليها لرئاسة الخراج .
- (٤٦) كان من شيوخ البساط عند الموحدين ، ومن كبار مشاريخ السلطان المستنصر بالله . راجع ، ابن قنفذ ، ابو العباس احمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسطنطيني ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تحقيق محمد الشاذلي التيفر وعبد المجيد تركي ، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨ ، ص ١١٥ ، ١١٨ .
- (٤٧) هو ابو عبد الله محمد بن الحسين ابن ابي الحسين العنسي ، من بني سعيد اهل القلمة بجوار غرناطة ، كان قهرمان - مسؤولا عن اهل بيت - السلطان ابو زكريا بن ابي محمد عبد الواحد ومن اهل خاصته ، راجع ابن قنفذ ص ١٦٦ .
- (٤٨) اللياني نسبة الى قرية الليانة الواقعة على الساحل من اعمال المهدية ، اهتم بقراءة الادب والفقه حتى برع فيهما ، وضع تقييدا على المدونة لابن سحنون ، تولى بعض الخطط السلطانية وخاصة ديوان البحر . راجع ، الزركشي . تاريخ الدولتين ص ١٨ .

- (٤٩) المقصود بها الثغور البحرية حيث تقام عليها مكاتب الكوس - الجمارك .
- (٥٠) ابن خلدون ، المقدمة ، ط بولاق القاهرة ١٢٨٤ هـ ، ص ٢٤٥ .
- (٥١) الزركشي ، تاريخ الدولتين ص ٣٧ ، ابن قنفذ ص ٢٤٧ .
- (٥٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٤٥ ، الزركشي ص ٤٧ .
- (٥٣) ابن قنفذ ، الفارسية ص ١٩٤ .
- (٥٤) الزركشي ، تاريخ الدولتين ص ١٤٧ .
- (٥٥) علي - ابراهيم حسن ، دراسات في تاريخ الممالك ط ٢ القاهرة ١٩٤٨ م ، ص ٣٤٣ .
- (٥٦) ما زالت هذه الكلمة مستعملة بين العامة من الجزائريين ، يطلقونها على من يقوم بقطع التذاكر لركاب الحافلة ويسمى بالجاني (مشاهدات الباحث) .
- (٥٧) ابن قنفذ ، الفارسية ص ١١٥ .
- (٥٨) الزركشي ص ٤٢ ، والملاحظ ان كلمة الخطية وجمعها خطايا ما زالت مستخدمة في المغرب العربي وتعني المخالفة عندنا (مشاهدات الباحث) .
- (٥٩) الزركشي ص ٤٢ ، ابن قنفذ ، الفارسية ص ١٣٤ - ١٣٥ .
- (٦٠) من الملاحظ ان كل عشرة دراهم عتق تساوي دينارا ، راجع ، العمري ، المسالك ، وصف افريقية والمغرب ، ص ٢٤-٢٣ ، تحقيق عبد الوهاب حسن حسني .
- (٦١) الزركشي ، ص ١٥٢ .
- (٦٢) الزركشي ، ص ٣٧ .
- (٦٣) الزركشي ، ص ١٩ .
- (٦٤) ربما المقصود بها الحافظة .
- (٦٥) الزركشي ، ص ١٩ .
- (٦٦) نال ابو عثمان مكانة مرموقة في الدولة الحفصية ، وكان مغرورا بنفسه ، وكانت نهايته على يد صنيعة ابي عثمان ، ابو زيد عبد الرحمن بن ابي الاعلام ، ومات تحت ضرب السياط سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م ، راجع ، ابن قنفذ الفارسية ص ٢٥ .
- (٦٧) ابن قنفذ الفارسية ص ١٢٤ .
- (٦٨) الزركشي ، ١٠٦ .
- (٦٩) الزركشي ص ١١٥ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٥٤ .
- (٧٠) نفسه ص ١٥٤ .
- (٧١) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صالح اهل الذمة على ضيافة المسلمين مدة ثلاثة ايام لا يزيدون عليها ، كما صالح عمر نصارى الشام على ضيافة من مر بهم من المسلمين ثلاثة ايام يطعمونهم مما ياكلون ، وحرية التضييف وجدت في دول الاسلام على غير اهل الذمة ، ففي ايام الممالك البحرية زمن الامير الناصر محمد بن قلاوون المملوكي سميت ب (حق الضيافة) حيث

يؤخذ من كل فلاح حصة من المنتوجات الفلاحية وتقدم الى كل امير مملوكي ، راجع ، ابن الفراء ، ابو يعلى محمد بن الحسين الخنبلي ، الاحكام السلطانية دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ص ١٥٦ ، علي ابراهيم حسن ، دراسات في تاريخ الممالك ص ٣٦ .

(٧٢) راجع ، الزركشي ، ص ١٨ ، ٥٢ ، ابن قنفذ ، ص ١٠٥ ، ٩٢ .

(٧٣) الزركشي ، ص ٣٦ ، ٥٢ ، ابن قنفذ ص ١٧٤ ، ٩٢ .

(٧٤) لم تستعمل كلمة جمرک في تونس او المغرب الا في عهد الحماية الاجنبية . راجع ابن شنهو -عبد الحميد ، النظام لادري بالمغرب ص ٤٣ .

(٧٥) راجع ، دائرة المعارف باللغة الفرنسية ، مادة Divan

(٧٦) كان لهذه الزاوية مكانة في نفوس الحكام والخاصة والعامة من الناس بحيث لا يجروا احدا على اقتحامها لاجراخ اللتجا منها .

(٧٧) الاصل (الدهانة) وهو تحريف ، صوابه ما اثبتناه هنا بالمتن نقلا عن المؤنس والدهانة هم باعة الامتعة والملابس المتجولون ويفسره ما بعده ، وهو اصطلاح قديم مسمى به في اكثر المدن التي بها الاسواق . راجع ، الزركشي ص ١١٦ .

(٧٨) هم باعة لاشياء القديمة او ما يعبر عنه بالخردة .

(٧٩) هو سوق النحاس .

٨٠.) نحن امام امرين ، اما ان اسقاط الضرائب عن الفخارين كان بدافع تشجيع صناعة الفخار ولا سيما ان هذه الماة استخدمت في حفظ العقاقير الطبية وقد بينت الحفريات الاثرية الايطالية التي كشفت عن آوان فخارية من صنع عربي بصقلية قد استخدمت لهذا الغرض ، واما كما نرجح - حدوث تصحيف في اللفظ لعل المقصود به الخمارين ، لانه داخل في نطاق المنكر وقطع دابره بسبب ما ادى من انتشار الفساد والفنن الناتج عن تجمعات الخمارين في اماكن معينة ، مما دفع السلطان ابا فارس الى القائه . راجع ، الزركشي ص ١١٧ .

(٨١) في الاصل الزفافين كما اثبتناه في المتن واصله الزفن وهو الرقص ولي حديث لعب الاحباش في العيد - عند صحيح مسلم : انهم كانوا يزفنون أي يرقصون ويتفرون - وبقيت هذه العادة مستعملة الى عهد قريب ولا سيما بالساحل ، فيسمون فرقة الفناء فيها من اصحاب الطبل والزمارة ومسمن معها من الراقصات وخاصة الزوج انذاك فرقة « زفانة » . ووردت كلمة (الزفن) في كتاب مجمع بحار الانوار ، كانت تزفن للحسن أي ترقصه واصله اللعب والدفع ومنه جاء حبش (يزفنون) بفتح ياء وسكون زاي وكسر فاء أي يرقصون بلعب السلاح . والملاحظ ان هذه الكلمة (الزفن) ما زالت مستعملة في بعض النواحي بتونس والجزائر ، ويقولون لمن اراد لهو الحياة يقولون بما معناه (صاحب زفانة ولهو) مشاهدات الباحث . راجع ، الزركشي ، تاريخ الدولتين ص ١١٧ ، الكجراتي - محمد الطاهر الصديقي الهندي الفتني ، مجمع بحار الانوار وغرائب التنزيل ولطاف الاخبار ج ٢ ، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر اباد - الدكن - الهند ١٣٩٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ٤٢٨ .

(٨٢) لعل المقصود بهن الغنيات ، وهذه الظاهرة كانت ناتجة عن رحيل الاندلسيين باعداد ملحوظة الى تونس اكثر من غيرها من الاقطار المغربية ، وقد استنكر بعض العلماء هذه الظاهرة امثال الفقيه عبد

- الله الحيدري المعروف بابن الحاج المتوفي سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م صاحب كتاب المدخل . راجع ، رضا كحالة ج ١١ ص ٢٨٤ ، غراب - سعد ، الفتاوى وقيمتها الاجتماعية ، مجلة حوليات الجامعة التونسية - كلية الاداب والعلوم الانسانية عدد ١٦ سنة ١٩٧٨ ص ٩٥ .
- (٨٣) كانت معرفة النقد الصحيح الوزن من الناقص تتم بواسطة الصنوج المصنوعة من الزجاج مكتوب على احد وجهيها كتابة بارزة تدل على ان مثقالها هو وزن الدرهم او الدينار الرسمي الشرعي ، وتطبع بدار السكة وتوزع على الصيارفة حتى يختبروا الدراهم او الدينانير المراد صرفها وهناك صنوج اعدت للمجوهرات ، واخرى للمطور وغيرها من المواد الاخرى . راجع الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص ١١٦ - ١١٧ ، المسالك - وصف افريقية والمغرب ، تحقيق عبد الوهاب - حسن حسني ، ص ٣ - ٤ ، ص ٤١٩ ، ٤٢٠ .
- (٨٤) هذا ما نبه اليه ابن عبدون بقوله : « يجب ان ينهى الصيرفيون عن الربى وان لا يجري في البلد الا سكة دون غيرها ، لان اختلاف السكك مدعاة لفساد النقد » ، راجع ، ابن عبدون ، رسالة في الحسبة ص ٢٤٩ .
- (٨٥) راجع ، عبد الوهاب - حسن حسني ، ورفات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، القسم الاول ص ٥٥ - ٦٦ .
- (٨٦) سمي السلطان المستنصر بالله ، بالخليفة بعد وصول البيعة اليه من شريف مكة ابن نهي بتاثير من ابن سمين الصوفي المرسى عند سقوط بغداد في ايدي التتار . ومما جاء هذه البيعة ((. وذكر بهاء الدين التبريزي في ملحمة : .. اذ خرجت نار الحجاز بقتل خليفة بغداد ، ويستقيم ملك المغرب ، وتبسط كلمته في الاقطار ، ويخطب له على منابر خلفاء بني العباس .. الى ان يقول : .. يعد بعض البعض سنته محمدي ، وسيرته بركية ، وسيرته علوية ، وسلالته عمرية .. كتب تجاه الكعبة العظيمة في الجانب الغربي من الحرم الشريف)) ، راجع ، ابن خلدون ، كتاب تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب ، ج ١ ص ٤١٧-٤٢٨ .
- (٨٧) راجع ، الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص ٣٣ ، المسالك ، وصف افريقية والمغرب والانندلس اواسط القرن الثامن للهجرة ، ص ٣ .
- (٨٨) الزركشي ، ص ٣٨ ، المسالك ص ٥٥ - ٦٦ .
- (٨٩) لقد عمل سلاطين بني حفص وسلاطين بني مرين على تعديل الصيغان المغربية حسب المد القروي بفاس الذي عدل مد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام السلطان ابو الحسن المريني بتعديل مدين مصنوعين من النحاس الاصفر على مد الامير يوسف بن يعقوب الذي اعتمد بدوره على المد القروي وذلك سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣م ، والمدان كانا موجودان بالكتابة الكتابية بفاس ثم نقلتا الى المتحف .
- (٩٠) هو كيل قرره سلاطين بني حفص ، فسمي باسمهم .
- (٩١) ابن عبد الرؤوف ، احمد بن عبد الله ، رسالة في الحسبة ، بيروت ١٩٦٣م . الفصل الثاني ص ١٠٨ - ١٠٩ ، الجرسيفي ، عمر بن عثمان بن العباس ، رسالة الجرسيفي في الحسبة ص ١٢٧ .
- (٩٢) الميضات ، اسم مكان الوضوء ، وهو في عرف اهل المغرب باسم جامع مكان التفوط ، ويسمى ايضا مطهرة أي مكان للطهارة ، واذا كان خاصا بالتفوط سمي (بيت الماء) راجع ، السبتى ،

- محمد بن القاسم الانصاري ، اختصار الاخبار عما كان بسبته من سنى الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية - الرباط ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ص ٤٤ .
- (٩٣) الزركشي ، تاريخ الدولتين ص ٥١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ابن فننذ ، الفارسية ص ١١٢ ، العمري ، المسالك ، وصف افريقية والمغرب ص ٢٤ .
- (٩٤) ابن فننذ ، الفارسية ص ١٦٣ .
- (٩٥) الزركشي ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .
- (٩٦) تنطبق هذه الآية الكريمة على كل حكم كان معمولاً به ثم عمد الى تغييره .
- (٩٧) اية ١٨١ من سورة البقرة .
- (٩٨) اصيحت هذه المدرسة داراً للسكنى وقد درست معالمها مثلما درس معالم غيرها من الآثار الاسلامية الهامة . أما سوق الفلقة فقد ورد ذكره في وثيقة تجارية ذات صبغة اجتماعية تحمل رقم ١١٢ تتضمن اشهاد محمد بن عبد النبي الفداسمي من جماعة سوق الفلقة بتونس بقبض مائة ريال من محمد بن محمد بن حمود ليشترى بها صوفاً من بلدة سوف بالجزائر بقصد التجارة بينهما . والوثيقة مؤرخة في اواسط ١٣ شوال سنة ١٢٢٥هـ / ١٨١٠ م . راجع عن المدرسة . المراكشي ، تاريخ الدولتين ص ١٣٦ ، وعن سوق الفلقة ، يوشع - بشير قاسم ، غدامس وثائق تجارية - تاريخية اجتماعية ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي سنة ١٩٨٢ م ليبيا ، ص ٢٣١ .
- (٩٩) الزركشي ، تاريخ الدولتين ١٣٦ .
- (١٠٠) ابن خلدون ، المقدمة ، مؤسسة الاعلمي ست ، ص ٢٨٢ .
- (١٠١) امتك الفصيل ضرع امه اذا مصه مصاً شديداً . راجع ، ياقوت الحموي - شهاب الدين ابو عبد الله ، معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٥ م ج ٥ مادة مكة ص ١٨١ .
- (١٠٢) ابن خلدون ، المقدمة ، مؤسسة الاعلمي ص ٢٨٢ .
- (١٠٣) ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد بن علي ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت د.ت. ج ٢ ص ١١٤ .
- (١٠٤) ابن ابي ضيف - احمد ، اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان ط ٢ ، السدار التونسية للنشر ست ج ٢ ص ١٢ ، ١٦ وما بعدها .

ثبت باسماء المصادر والمراجع

- الادريسي ، الشريف ابو عبد الله محمد .
- * صفة بلاد المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، لندن ١٨٦٤ .
- ابن الاثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني .
- * الكامل في التاريخ - القاهرة سنة ١٢٥٧هـ ج ٥ .
- الجريسي ، عمر بن عثمان بن العباس .
- * رسالة الجريسي في الحسبة .
- حسن ، علي ابراهيم .
- * دراسات في تاريخ الممالك في عصر الناصر محمد ط (٢) مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٤٨ م .
- ابن حجر المسقلاي ، شهاب الدين احمد بن علي .
- * الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، ج ٢ .
- حسن - ابراهيم حسن .
- * تاريخ الاسلام السياسي ، القاهرة ١٩٦٢ م .
- حركات ابراهيم .
- * الصحراء الافريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط ، مجلة البحوث التاريخية السنة ٢ عدد ١ يناير ١٩٨١ م - مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية - ليبيا .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي .
- * المقدمة ، ج ٢ - تحقيق - علي عبد الواحد واقي ط (٢) دار النهضة - القاهرة مصر ست .
- * المقدمة ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ست . ط - بولاق - القاهرة سنة ١٢٨٤ هـ .
- * تاريخ ابن خلدون مجلد ٧ دار العلم - بيروت ست .
- الخشني ، محمد بن العارث بن اسد .
- * طبقات علماء افريقية الجزائر ١٩١٤ م
- * دائرة المعارف باللغة الفرنسية مادة (Divan) .
- الزركشي ، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم .
- * تاريخ الدولتين الموحدة والحفصية ، تحقيق - محمد - ماضور ، الكتبة العتيقة تونس ١٩٦٦ م .
- السللاوي ، ابو العباس احمد بن خالد الناصري .
- * الاستقصا لآخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتاب - الدار البيضاء - المغرب سنة ١٩٥٤ م .
- السبتي ، محمد بن القاسم الانصاري .
- * اختصار الاخبار عما كان بسبته من سني الانار ، تحقيق - عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية
- الرباط ١٢٨٩هـ/ ١٨٦٩ م .

- ابن شنهو - عبد الحميد
* النظام الاداري بالمغرب ط ٢ - الرباط ١٩٦٣ م .
- ابن صاحب الصلاة .
* تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين ، السفر الثاني ، تحقيق
- عبد الهادي التازي ، دار الاندلس - بيروت ط (١) سنة ١٩٦٤ م .
- ابن ابي ضياف - أحمد
* اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان ، ط (٢) الدار التونسية للنشر دت ج ٢ .
- ابن عذاري ، ابو عبد الله محمد .
* البيان المغرب في اخبار المغرب ج ١ ، بيروت سنة ١٩٥٠ م ، والقسم الاول ، تحقيق - ج- كولان ،
ليفى بروفنسال ، دار الثقافة - بيروت سنة ١٩٦٧ م ، والقسم الثالث سنة ١٩٨٠ م .
- العمرى ، شهاب الدين بن فضل الله .
* المسالك ، وصف افريقية والمغرب ، تحقيق - حسن حسني عبد الوهاب تونس دت .
- ابن عبد الرؤوف ، احمد بن عبدالله .
* رسالة في الحسبة ، بيروت ١٩٦٣ م .
- عبد الوهاب - حسن حسني .
* ورقات من الحضارة العربية بافريقية التونسية ، القسم الاول- تونس ١٩٦٨ م
- ابن عبدون
* رسالة في القضاء والحسبة المجلة الاسيوية حزيران ١٩٣٤ م .
- عنان - عبد الله .
* عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس جزآن ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ط (١)
سنة ١٩٦٤ م .
- علي - ابراهيم حسن .
* دراسات في تاريخ الماليك ط - ٢ القاهرة ١٩٤٨ م .
- غراب - سميح
* الفتاوى وقيمتها الاجتماعية ، مجلة حوليات الجامعة التونسية - كلية الاداب والعلوم الانسانية
عدد ١٦ سنة ١٩٧٨ م .
- ابن الفراء . ابو يعلى محمد بن الحسين الحنبلي .
* الاحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- ابن قنفذ ، ابو العباس احمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني .
* الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تحقيق - محمد الشاذلي النيفر ، عبد المجيد تركي ، الدار
التونسية للنشر ١٩٦٨ م .

- القلقشندي ، ابو العباس احمد .
* صبح الاعشى في صناعة الانشا ، القاهرة - ست ، ج ١ .
- القاضي النعمان
* الهمة في اداب اتباع الائمة ، القاهرة ، د. ت .
- القرطبي - عريب بن سعيد .
* صلة التاريخ الطبري ، ليدن سنة ١٨٩٧ م .
- الكجراني - محمد الظاهر صديقي الهندي الفتني .
* مجمع بحار الانوار وغرائب التنزيل ولطاف الاخبار ، ج ٢ ، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر ابار - الدكن - الهند سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م .
- لويس (ارشيبالد) .
* القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، تعريب - عيسى ، القاهرة - ست .
- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسن .
* مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ - القاهرة - ١٩٥٨ م .
- المقريزي - تقي الدين احمد
* اتماظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا - القاهرة - ١٩٤٨ م
* شذور العقود في ذكر النقود ، النجف سنة ١٩٦٧ م .
- المراكشي - عبد الواحد
* المعجب في تلخيص اخبار المغرب ليدن ١٨٨١ م .
- المنوني - محمد
* العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين ، تطوان (١٩٥٠ م) .
- ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم .
* الخراج ، القاهرة ط (٣) سنة ١٣٨٢ هـ .
- اليمني - محمد بن محمد
* سيرة الحاجب جعفر بن علي ، مجلة كلية الاداب - الجامعة المصرية ، مجلد ٤ ج ٢ سنة ١٩٣٦ م .
- ياقوت الحموي (شهاب الدين ابو عبد الله) .
* معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م مجلد ٢ ، مجلد (٥) مادة مكة ص ١٨١ ، بيروت ١٩٥٥ م .
- يوشع - بشير قاسم .
* غدامس وثائق تاريخية اجتماعية ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الابيطالي سنة ١٩٨٢ م ليبيا .